الاعمال حيث قال (٤ : ٣٣) : « وبقوّة عظيمة كان الرُّسل يؤدُّون الشهادة بقيامة الربّ يسوع ». وكذلك لمَّا ارادوا ان يختاروا رسولًا يقوم مقام يهوذا الاسخريوطي ليُحصى في جملة الاثني عشر لم يرضوا الَّا برجلٍ « يكون شاهدًا معهم بقيامة يسوع » (اعمال ١ : ٢٢) لانَّ هذه القيامة كانت لديهم كما هي الآن لدى النصارى باجمعهم البيّنة العظمى والحجّة المُثلى التي تفوق كل ما سواها من الحجج. ولذلك كان المسيحيُّون الاوَّلون لا يدعون سرّ قيامة المسيح الَّا « الشهادة » ولمَّا ابتنى قسطنطين الكبير كنيسة كبرى فوق قبر المسيح لم يجد لها اسمًا احقّ بها الَّا بان دعاها « مرتيريون » اي الشهادة. اذ انَّ هذا القبر الفارغ ينطق بافصح برهان وابلغ كلام عن لاهوت السيّد المسيح. وهذا ما يجعلهُ اشرف كلّ القبور التي في العالم فيتمُّ بهِ قول اشعيا (١١ : ١٠) : « انَّ قبرهُ يكون ممجَّدًا » بينما ترى بقيَّة القبور تنطق بحكم الموت الذي يحفظ فيها غنيمتهُ وتجاهر ببطلان العالم وزوال جاههِ وعظمتهِ اذ كلُّ ذلك ينتهي في القبر. بخلاف قبر المسيح الذي انفتح بعد ساعات قليلة فخرج منهُ اسيرهُ فسبى السَّبْي ظافرًا ممجدًا لهُ الملك والعزّ الى ابد الابدين

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س.ت اليسوعيّ (تابع)

فلما تأكَّدت لانيش انَّ ابنتها بالرضاعة في امان لا يمضُّها في بيتها ثاب الزمان عادت الى الجنينة حيث كانت يهوديت تتنسَّم الهواء وتستنشق روائح الزهور واظهرت لها من الانس والملاطفة ما كان من شأنهِ ان يطيّب قلبها وينسيها كربها. وجعلت تذكّرها بما جرى لها في حداثة سنّها وتفكّها باخبارٍ واقوال عديدة لم تعِ لها يهوديت لوقوعها قبل بلوغها الرشد. وكانت لانيش لطيفة العواطف رقيقة الشعور تعدل عن كل ما يذكر ضيقتها بنكبتها الحديثة وينكأ قرحتها الندِيَّة قبل اندمالها وهي تنتظر ان تفاتحها يهوديت بخوافي قلبها لتداويها بمرهم السلوان

بيد انَّ يهوديت لما طُبعت عليهِ من الاباء والنفور لم تشأ ان تكاشف مُرضعها باسرارها وانَّما كانت تدفن اوجاعها في صميم قلبها وقد اختلقت لها حجَّةً لتعليل حجبها

الى جبيل مدّعيةً انّها احبّت تغيير الهواء وترويح النفس واشتاقت الشوق العظيم الى ظئرها فضلًا عن انّها اتت لتطلب لنفسها سلوانًا عمّا تقاسيهِ بسبب الاخطار التي تحيق بابيها في حاضرة اليهوديّة

فاعارتها لائيش سمعها وتظاهرت بانها تجهل حقيقة الامر الذي اوقفها عليهِ سلوانس

واستقصرت يهوديت ذاكَ اليوم الاوّل الذي قضتهُ في صحبة ظئرها لما رأتهُ من المناظر الجديدة وتجاذبتهُ من اطراف الحديث عن سني طفوليّتها. وكانت انقشعت في اثنائهِ غياهب حزنها حتى انّ الذي لم يك عارفاً بدفائن قلبها ما كان ليظنّ انّها ممنوّة باسى امرّ عيشها واكسف بالها لولا زرقةٌ حول عيونها كانت تدلُّ على بكائها السابق. فكانت تبشُّ في وجه ظئرها وتضحك لها وتداعبها كانّها في احسن حال

لكنّ فرح يهوديت لم يكن ليبلغ صميم فؤادها وانّما كانت فقط لوائح تلوح على وجهها دون ان تؤثر في قلبها. فلمّا ضرب الليل اطنابهُ وعرضت عليها لائيش ان تستريح من اتعاب الطريق فاعتزلت في غرفتها هاجت عواطفها ثانيةً وهطلت دموعها كالتهتان ثم تذكّرت والدها فصلّت الى الله لاجل عودتهِ بالسلامة وخطر على بالها اسم راسيوس الضابط لكنّها لم تتلفّظ بهِ وهي تشعر انّها لا تنساهُ ابدًا. اما يوسف اخوها فلمّا عاد ذكرهُ الى مخيّلتها اضطربت من جرّائهِ حواسُّها وكادت تتلفّظ بهِ لتلعنهُ الّا انّها تمكّنت من كبح بغضها فغفرت لهُ سوء معاملتهِ

*

وكانت الأيام تمرُّ في بيت لائيش اسرع من لمح البصر ويهوديت تذوق من العيش ارغدهُ ومن الراحة اهنأها في جوار ظئرها التي كانت تتحفّى بها وتعطف عليها كالامّ على ابنتها حتى عادت اليها قواها واندمل جرح قلبها

وكانت مع ذلك تترصّد الاخبار لتعرف ماذا حلّ بابيها وهل اخوها لا يزال بعد في بيروت. وبينما هي كذلك اذ وردها الخبر في اواسط شباط « انّ اباها صموئيل لم يخرج من اورشليم يوم باشر الرومان بمحاصرة تلك المدينة . . . امّا يوسف فانهُ كاد يتميّز غيظاً لمّا علم بهرب اختهِ لكنّهُ لم يشأ ان يسعى في اثرها بل كان خرج من دارهِ ليرشف كاس اللذّات في مكان آخر »

فلمَّا وقفت الفتاة على هذه الاخبار تنفَّست الصعداء. وتجدَّد في قلبها الاسى على ابيها وبقيت في حيرة يتنازعها عاملا الرجاء والخوف فتارةً تسلّي نفسها بالظنّ انَّ اباها لا يعرّض بنفسهِ لاخطار الحرب والحصار وتارةً يغلب على فكرها ان والدها بقي في حوزة العدوّ لم يستطع الفرار ليعود الى وطنهِ

امَّا ابتعاد اخيها من بيروت فكان ممَّا يسرُّها ويفرج همَّها ويسهّل رجوعها الى دارها ولكن خافت اذا عادت الى وطنها ان تبقى في دارها معتزلةً لا انيس لها ولا جليس تشاطرهُ الاحزان. فكان هذا الفكر يفتُّ في عضدها ويكدّر صفاء عيشها. ومن ثمَّ عزمت على ان تبقى مدَّة في جبيل عند ظئرها حيث وجدت من الراحة والتعزية ما اربى على كلّ آمالها

وكانت يهوديت تجد في جبيل عدَّة امور تستلفت انظارها كآثارها القديمة وابنيتها الفخيمة وعادات اهلها ترى كل ذلك بالرغبة وقرار العين. وكان يأخذها الانذهال عند نظرها هياكل الوثنيين وعظمة مقاماتهم الدينيَّة وكلُّها مبنيَّة بالوان الرخام ومزيَّنة بتماثيل آلهة اليونان والفينيقيين في جملتها دُمى البعل وتمُّوز حتى انَّها كادت تستحي من كنيس اليهود المشيَّد لذوي نحلتها في جبيل كلَّما كانت تقابلهُ مع هذه المباني الفاخرة التي تزدحم في صحنها الجموع

وكانت تستعظم هيكل عشتاروت وتتردَّد الى رواقهِ الجميل وتنظر الى الجُبيليين يفدون الى هيكل تلك الإلهة الشهيرة ويقرّبون لها قرابينهم ويضحّون الضحايا امام الرمز المشير اليها وهو عبارة عن حجر مخروط منصوب بازاء الهيكل

ولمَّا كان شباط على وشك الانتهاء واخذت الارض زخارفها وجعل الربيع يزيّن الرُّبى والاودية بجلاهُ الطبيعيَّة اذ حان موسم موت الاله ادونيس او تمُّوز وهو عيدٌ كان لهُ شهرة عظيمة يتقاطر اليهِ الزوَّار من كل أوب

فدخلت يهوديت بيت احد سكَّان البلدة من اصحاب الانيش ظئرها لتنظر موكب عبَدة الاله دون ان يراهـا احد. فلمَّا حانت الساعة رأت القوم في هياط ومياط كأن المدينة كلّها استنفرتها الحميَّة الدينيَّة لتحتفل بموت إلهها. وكان يتقدَّم الموكب صفوف من الفتية والفتيات وكلُّهم يصرخون ويولولون كأنَّهم فقدوا اعزَّ الاصحاب. وكان يليهم عذارى يحملنَ على رؤوسهنَّ اطباقاً ومقاطف فيها اجناس الزهور والاثمار واصناف

الطيوب والاقاويه التي تُهدى للإله الميت. وكان يمشي وراء العذارى نساء لابسات الحداد عليهنَّ السرابيل الطويلة بلا مناطق يُظهرنَ من الالم اشدَّهُ وهنَّ يضربنَ صدورهنَّ ويخدشن وجوههنَّ ويُعولن على ايقاع الجنك. وكان خلفهنَّ تمثال الاله تموز يحملهُ الكهنة على جنازة يُرى صريعاً على نعشٍ وجنبهُ يقطر دماً كما تصوَّروهُ بعد ان قتلهُ الوحش الضاري في مشارف لبنان. وكان الحضور اذا رأوا هذه الصورة يعلو ضجيجهم ويذرفون البكاء المرّ

وكانت هذه الجلبَة تتزايد وتنمو كلَّما كان القوم يقتربون من نهر الاله فيغمسون التمثال في المياه التي يزعمون انَّها تحمرُّ مما يسيل فيها من دم تموز

وكان الجمهور اذا عادوا من النهر الى الهيكل يغيّرون هيئتهم ويتهلَّلون باصوات الافراح وينشدون الاناشيد المؤذنة بقيامة الاله ادونيس من الموت ويرقصون الرقص الخلاعيّ فينتهي نهارهم على هذه الصورة

وكانت يهوديت تنظر الموكب راقبة كل حركات عبَدة الصَّنم فشعرت بما اثار في نفسها عواطف الحنان على تموز قتيل الصيد وذكَّرها حزن الزُّهرة ببعض احوالها مع الضابط الروماني. ألا انَّ جبينها نديَ خجلاً لمَّا عاينت القوم عائدين الى ديارهم في الخَليطى كانَّ الخمرة لعبت في رؤوسهم فعرَّتهم من كل شواعر الحياء والادب. فادركت ما في الشرك والوثنيَّة من ساقط المتاع اذ يرتكب اصحابها كلَّ محظور ومحروم لا يردعهم حجىً ولا يكفُّهم تورُّع. فأنفت من هذه الارجاس ولم تَعُد تنظر اليها الَّا بعين البغض والنفور. بل زادها ذلك اعتباراً لدين اجدادها لما تجد فيهِ من عظمة الخالق وسموّ عزَّتهِ وجليل صفاتهِ فحاشاهُ تعالى ان يرضى باسرار سمجة كما مثَّلها كهنة الاوثان في جبيل

ومن ثمَّ عادت الى الهذيذ بتوراة موسى الكليم والتأمُّل في اسفار انبياء اسرائيل وكان قلبها يجد في مطالعة مزامير داود ارتياحاً وسلاماً فتردّدها بالصلاة رافعةً الى الله عواطف نفسها ومقدّمةً لهُ مراسيم سجودها

ومما كان يؤثر فيها عند نظرها في كتب الله المنزلة ما تراهُ من النبوآت عن مسيح الله الذي وُعد بهِ شعبُ اسرائيل فتتمنَّى ان ترى ملكهُ منتشراً في اقاصي الارض كما جاء في اشعيا النبيّ وفي سفر دانيال وخصوصاً في زبور النبيّ داود

وبينما كانت يهوديت تقضي هكذا أيامها في مطالعة اقوال الانبياء اذ مرَّت يوماً عند المساء امام بيت حقير كان يتوارد الى بابهِ قوم على وجوههم سِمة الورع والتُّقى فوقفت هنيهةً وقد اخذ منظرهم في مجامع قلبها. وهي لكذلك اذ سمعت اصوات المصلّين فاصغت اليهم لعلّها تميّز شيئاً من منطوق صلاتهم. واذا بهم يتلون مزامير داود ولكن بايّ عبادةٍ ووقار! كأنَّ كلام الله في افواههم شهد العسل تزيدهُ حسناً اصواتهم الشجيَّة ونغماتهم التقويَّة

فبقيت مدَّةً مطرقةً كأنَّها خُطفت بالروح الى عالم آخر ولولا خوفها ان يدركها الليل في مكانها لما كانت انصرفت قبل تمام الصلاة. ولمَّا عادت الى بيت ظئرها اخبرتها بما جرى لها قائلةً: «اني في هذا المساء وجدتُ في باطن قلبي نعيماً لم اعهده قبل اليوم كأنّي ظفرت بكنز دفين اسعد حياتي»

فسمعت لانيش كلامها وهي تبشُّ في وجهها لأنَّها كانت تعرف البيت الذي وصفتهُ يهوديت وتعلم بقصتهِ واهلهِ فاحبت ان تُطلع ضيفتها على اخبارهِ الصحيحة فقالت:

«قبل يومنا هذا بنحو ثلاثين سنة قدم علينا في جبيل رجلٌ كهلٌ تلوح عليهِ لوائح الفقر وسذاجة العيش وكان البعض يدعونهُ بطرس والبعض يسمُّونهُ سمعان. فدخل الجمع في احد السبوت ثم افاض امام اليهود المجتمعين في الكنيس في ذكر نبيٍّ يدعى ايشوع زعم انهُ ابن الله وانهُ هو احد رسلهِ. وقد اخبر المذكور عن نبيّهِ اموراً عجيبة وذكر ترجمة حياتهِ منذ ولادتهِ الى موتهِ مصلوباً وختم كلامهُ بقولهِ انَّ الميت قام وتراءى لتلاميذهِ ثم صعد الى السماء بعد ان اوصى رسلهُ بان يبشّروا باسمهِ في اربع خوافق العالم

«ذلك ما بشّر بهِ بطرس في الجمع. لكنَّ اليهود تشكَّكوا من جرّاء قولهِ وطردوه من المدينة. على انَّ هذا المذهب الجديد لم يتوارَ معهُ بل وجد لهُ في جبيل تبعةً لاسيَّما مُذ تولّى امرهم احد تلامذة سمعان بطرس يُدعى مرقس (١ ابتنى لهم قبل عشر سنوات ذاك المصلّى الحقير الذي رأيتهِ»

كانت يهوديت في اثناء كلام ظئرها تسمع صاغيةً واعية وهي تتذكَّر ما رأتهُ

١) مرقس هذا هو الذي دُعي في كتاب الاعمال (ف ١٥) باسم يوحنا صار اوَّل اسقف على جبيل (راجع الشرق المسيحيّ للوكويان ج ٢ ص ٨٣١)

من امر هؤلاء النصارى في بيروت وكان في دارها منهم بعض عبيدها لم تلحظ في سيّتهم وآدابهم شيئاً يريبها في حقّهم. وقد زادها كلام لانيش رغبةً في دينهم الّا انّها كانت تنفر وتشكّ في صحّته اذا ما فكّرت في موت صاحبهِ على صليب العار وما لحق بهِ من الذلّ والهوان فتأبى ان تقرّ بكونهِ هو المسيح الموعود الذي صوّرهُ الانبيـاء كذلك فتّاح

ومع ما كان في قلب يهوديت من الشكوك والريب كانت تشعر بجاذب يجذبها الى البيت الحقير الذي رأتهُ. فطاوعت ميلها ورجعت اليهِ يوماً كان يُصلّي فيهِ القوم. وارادت هذه المرّة ان تدخل المصلّى وتحضر الصلاة لتراقب المصلين. فكان تأثيرهـا اعظم من الدفعة الاولى. وممّا عمل قلبها صورة شهدتها في صدر المعبد كانت تمثّل امرأة تلوح على وجهها لوائح الوقار والطهارة والحلاوة مع شيء من الحزن. فسألت: ما هذه الصورة فاجابوها: « هي صورة امّ ايشوع المدعوة مريم » ثمّ اخبروها بترجمة حيـاة العذراء امّ الله والبشر معاً

فبقي ذكر هذه الصورة مطبوعاً في قلب يهوديت يتبعها ليلاً مع نهار. وكانت لا تفكّر فيها حتى تشعر في نفسها عواطف الحبّ كانّها تجذبها الى الصلاح والفضيلة

غير ان قلب يهوديت لم يكُ بعد صافياً نقيّاً لتتبع آثار قوم يعيشون للآخرة اكثر منهم للارض وملاذّها الباطلة (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S^t Jean Chrysostôme et les mœurs de son temps

par Aimé-Puech, *Paris, Hachette*, VIII-334

القديس يوحنّا فم الذهب وآداب عصرهِ

هذا تأليف منحت جمعيّة العلوم الادبيّة في فرنسة صاحبهُ جزاء سنيّاً لما وجدت فيهِ من دقّة الانتقاد وسمة المعارف. وغاية المؤلف كانت ان يستخلص من اعمـال القديس فم الذهب كلّ ما تضمّنتهُ من الفوائد لتعريف اهـل زمانهِ وعادات